اهمية اوكرانيا الجيوستراتيجية بالنسبة لروسيا

م.د. فادية عباس هادي
جامعة بغداد / مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية
fadia.hadi@cis.uobaghdad.edu.iq

الملخص :

تعد دولة اوكرانيا عمقا استراتيجيا لروسيا الاتحادية بالاضافة الى اهميتها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. ويرى معظم المنظرين ان روسيا مع اوكرانيا تحسب قوة دولية إلا انها دون اوكرانيا لا تتعدى كونها قوة إقليمية، وهذا عكس الرغبة الروسية بالعودة كقوة دولية. وعلى كل حال، يمكننا القول أن أوكرانيا اصبحت عنصر المواجهة بين روسيا وحلف شمال الاطلسي، ولأجل هذا تتبنى موسكو سياسات حازمة وقاطعة في هذه المواجهة. ويوحي هذا بعزم روسيا، بعد ثلاثة عقود من تفكك الاتحاد السوفيتي، على استعادة مجد فترة الثمانينات. وفي الوقت ذاته، تسعى الولايات المتحدة الأمريكية الى الحفاظ على النظام الدولي الحالي المتسم بالثبات على القطبية الاحادية.

الكلمات المفتاحية: جيوستراتيجية، اوكرانيا، روسيا الاتحادية، النظام الدولي.

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٤/٨/٦	تاريخ القبول: ٢٠٢٤/٩/١٩	تاريخ النشر: ٢٠٢٤/١٢/١

The geostrategic importance of Ukraine for Russia

Lecturer. Dr. Fadia Abbas Hadi
University of Baghdad - Center for Strategic and International Studies
fadia.hadi@cis.uobaghdad.edu.iq

Abstract

Ukraine is a strategic depth for the Russian Federation in addition to its economic, cultural and social importance. Most theorists believe that Russia, with Ukraine, is considered an international power, but without Ukraine, it is no more than a regional power, which is contrary to Russia's desire to return as an international power. However, we can say that Ukraine has become an element of confrontation between Russia and NATO, and for this reason Moscow adopts firm and decisive policies in this confrontation. This suggests Russia's determination, three decades after the dissolution of the Soviet Union, to restore the glory of the 1980s. At the same time, the United States seeks to maintain the current international system characterized by stability in unipolarity.

Keywords : Geostrategic, Ukraine, Russian Federation, International System.

المقدمة:

بعد انتهاء الايدلوجية الشيوعية تفكك الاتحاد السوفييتي، وادى ذلك الى استقلال ١٥ دولة منهارة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا واجتماعيا، وتولى الرئيس الروسي بوريس يلتسين حكم روسيا، وعمل على التخلص من اعباء الإمبراطورية المكلفة، واعتماد اقتصاد السوق، التي اعتبرهما السبيل إلى تحقيق الازدهار للبلاد، وإخراج الشعب الروسي من دوامة الفقر.

لكن هذا الادراك اختلف بعد تسلم فلاديمير بوتين الحكم في ٢٠٠٠م ، حيث عمل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بشكل منهجي على وضع خطة لتدارك ما يعتبره تفككا مهيناً للاتحاد السوفييتي ، وركز على هدف رئيسي هو تموضع حلف شمال الأطلسي في مناطق النفوذ الروسية التقليدية، بإقامة قواعد عسكرية ونشر الصواريخ، حتى باتت مهددًا مباشرا للأمن الوطني الروسي، الامر الذي جعلة مندفعاً باتجاه فرض الهيمنة الروسية على بعض الدول السوفييتية السابقة، وأهمها أوكرانيا، التي تُعتبر منفذًا جيوإستراتيجياً لروسيا.

ومع تمدد انتشار حلف شمال الاطلسي نحو دول الاتحاد السوفيتي السابقة الامر الذي يحدث انكشاف للمجال الحيوي الروسي، مما زاد من سعى الرئيس بوتين بالوسائل الدبلوماسية للإبقاء على حيادية كييف بعيداً عن الغرب، لكن دون جدوى ، ولم يعُد بوتين قادراً على الانتظار أكثر، فـ شن هجومه العسكري على أوكرانيا في ٢٤ فبراير ٢٠٢٢م، بهدف إعادة إنشاء المنطقة الجيوسياسية العازلة، التي يشعر الحكام الروس على مر القرون، منذ روسيا القيصرية ثم روسيا البلشفية وحتى الآن، أنها ضرورية لبقائهم.

ويبدو أن الرغبة الروسية تتمحور حول: إما أوكرانيا كاملة في الفلك الروسي وبعيدة عن حلف شمال الاطلسي، وإما على الأقل إبقاؤها محايدة وضمان سيطرتها على شرق أوكرانيا المجاور لحدودها من خلال خلق «جمهوريتين مستقلّتين» عن أوكرانيا مواليتين لروسيا، هما دونيتسك ولوغانسك، اللتان أعلنت روسيا رسمياً الاعتراف بهما في ٢١ فبراير ٢٠٢٢م.

اهمية البحث:

تاتي اهمية الدراسة من خلال تسليط الضوء على اهم المحددات والدوافع للحرب الروسية على اوكرانيا وفقا لاهميتها الجيو استراتيجية الامر الذي جعلها محل للتنافس الدولي واداة للحرب بالنيابة عن القوى الكبرى.

اشكالية البحث:

تنطلق الدراسة من اشكالية رئيسية وهي ان وصول أي دولة كبرى واحتواء اوكرانيا سياسيا واقتصاديا وعسكريا يعني تهديد وخنق لروسيا من جهة حدودها مع اوكرانيا، وعلى اساس ذلك تطرح الدراسة عدة تساؤلات وهي:

١. ما اهمية اوكرانيا جغرافيا؟
٢. ما طبيعة امكانياتها الزراعية والتكنولوجية والعسكرية؟
٣. ما سبب تكالب ودعم الدول الاوربية الولايات المتحدة؟ لها الامر الذي وصل الى حد تشجيعها للاستمرار في الحرب وتمويلها بالسلاح والمال؟
٤. ماهي اسباب وجذور الازمة الروسية – الاوكرانية؟
٥. ماهي الاسباب الرئيسية والفرعية لشن روسيا حرب على اوكرانيا؟
٦. هل الحرب الروسية الاوكرانية بداية ظهور نظام دولي جديد ؟

فرضية البحث:

تفترض الدراسة ان هناك ثمة علاقة طردية بين اهمية اوكرانيا جيو استراتيجيا وبين التوجه الروسي نحوها، الامر الذي وصل الى حد التدخل العسكري بحرب استنزاف طويله، كون اوكرانيا بموقعها الجغرافي الذي يشكل المهم كونة يشكل حدود مباشرة لروسيا، وايضا اطلالتها على المياة الدافئه ومواردها جعلها اداة لتهديد روسيا في حال وصول دولة اخرى اليها مثل الولايات المتحدة الامريكية والدول الاوربية، والداعمين حاليا لحربها مع روسيا.

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على منهج التحليل النظمي من خلال عرض وشرح اهم مدخلات المقومات القوة الجغرافية والاقتصادية لاوكرانيا الامر الذي جعل المخرجات لهذة العناصر يتمثل بتنافس وسعي الدول الكبرى عليها مما ادى وقادهم الى حرب استنزاف عسكرية طويلة، وكذلك منهج المصلحة الوطنية الذي يركز على دراسة الدوافع والمصالح الوطنية التي تحدد ها الدول في تحركات سياستها الخارجية تجاة دولة اخرى ، وهو اهم مصدر وسبب للحرب الروسية الاوكرانية بعد قراءة روسيا لمصالحها في اوكرانيا، وكذلك الدول الاوربية.

المطلب الاول: الموقع الجغرافي واهميته

ينطلق بسمارك من رؤيته للجغرافية بأنها العنصر الوحيد والدائم في السياسة، لذا تظهر لنا ضرورة دراسة الخصائص الجغرافية لاوكرانيا، ومن ثم اهمية هذا الموقع الجغرافي

استراتيجيا بالنسبه لروسيا الاتحادية بوصفها قاعدة مهمه لمعرفة العناصر الجوهرية التي دفعت روسيا لشن حرب طويلة على اوكرانيا اثرت على العالم وشكل النظام الدولي (الشيخ ٢٠٠٧، ٤٥).

فأن دراسة الموقع الجغرافي تعني الاطلاع والتعرف على الحيز الذي تشغله الدولة وحدودها ومساحتها والدول المجاورة لها، وهذا بالضرورة ينسحب على طبيعة علاقاتها بدول جوارها ، وهذا يعتبر العامل الاساس في حركتها للدولة ويوضح لنا طبيعة الدور الذي تمارسة في سياستها الخارجية باتجاه بيئتها الاقليمية والدولية (فيصل ١٩٩٩، ٢٤٠).

جغرافياً اوكرانيا هي ثاني أكبر بلد من حيث المساحة في اوروبا بعد روسيا الاتحادية، في مختلف اراضيها ولديها ميزات جغرافية متنوعة بدءا من المرتفعات إلى السهول فضلا عن مجموعة المناخية ومجموعة متنوعة واسعة في المساحة البحرية (حداد ٢٠٢٠ ، ١٣).

واوكرانيا لديها موقع استراتيجي مهم في شرق ووسط اوروبا، وتقع على السواحل الشمالية للبحر الأسود وبحر آزوف، وتشارك حدودها مع عدد من الدول الاوروبية هي، بولندا وسلوفاكيا والمجر في الغرب وروسيا البيضاء في الشمال ومولدوفا ورومانيا في الجنوب غرب وروسيا في الشرق، وتقع الشواطئ الجنوبية ل شبه جزيرة القرم داخل منطقة شبه الاستوائية الفريدة التي يتم فصلها عن معظم اوكرانيا من قبل مجموعة من جبال القرم، ويتم تقسيم أوكرانيا بين اثنين من المناطق الأحيائية الغابات المختلطة نحو منتصف القارة ، والمراعي في المنطقة المطلة على البحر الأسود، والمناطق الغربية تقع في البلد مثل جبال الألب التي تهيمن عليها جبال الكاربات، وتنقسم أوكرانيا تقريبا في النصف من خلال مرور نهر دنيبرو الذي يخترق أوكرانيا من الشمال إلى الجنوب، ويصب في البحر الأسود إلى الغرب من شبه جزيرة القرم وبالقرب من مصبات الأنهار مع روسيا هو أطول حدود البلاد، الذي يمر عبر بحر آزوف (حداد ٢٠٢٠ ، ١٣-٢٠).

إجمالي المساحة الجغرافية لـ أوكرانيا هو ٩٠٢٣٣ ميل مربع أي (٧٠٠,٦٠٣ كم ٢)، وتتكون معظم أوكرانيا من السهول الخصبة والهضاب، من حيث استخدام الأراضي، ويعتبر ٥٨ ٪ من الأراضي صالحة للزراعة في أوكرانيا، و يستخدم ٢ ٪ للمحاصيل دائمة، و ١٣ ٪ مراعي دائمة، و ١٨٪ هي الغابات (بولعراس ٢٠٢٢، ٢١).

وتاني اهمية الموقع الاستراتيجي لاوكرانيا كونها تقع في مفترق الطرق بين اوربا واسيا ، وتعتبر ثاني اكبر دولة في اوربا ، وهذا ماجعلها محل تنافس وتسابق للدول عليها. خاصة وان الموقع الجغرافي عامل مهم في تحديد طبيعة التهديدات التي تتعرض لها الدولة، وتحدد طبيعة علاقاتها وتفاعلاتها مع الدول الاخرى، واوكرانيا من الدول المهمة جغرافيا لروسيا كونها تعد من الدول العازلة لروسيا عن الدول المنظمة الى حلف الشمال الاطلسي بالاضافة الى بيلاروسيا (بشارة ٢٠٢٢، ١-٣) .

وبذلك تعتبر روسيا ان انضمام اوكرانيا الى حلف شمال الاطلسي بمثابة شن حرب عليها مباشرةً، حيث عندما عقد حلف شمال الاطلسي قمة في ٢٠٠٨ وتطرقت الى امكانية ضم جورجيا واوكرانيا للحلف اعتبرت روسيا ذلك تهديد مباشر وقامت بشن حرب على جورجيا وضمت اقليمي ابخازيا واوسيتا الجنوبية بحجة الدفاع عنهما، وفي ٢٠١٤ ضمت القرم من اوكرانيا ودعمت الانفصاليين في شرق اوكرانيا، كونها تعتبرها من دول مجالها الحيوي وترى ضرورة ضمها الى فلكها ومجالها الجغرافي لتامين حدودها البرية وايضا تعتبر منفذها الى البحر الاسود (عبد الشافي ٢٠٢٢، ١٣٨).

المطلب الثاني: اهمية اوكرانيا اقتصادياً

تعتبر أوكرانيا هي الأولى في أوروبا في مساحة الأراضي الصالحة للزراعة والثالثة في العالم في مساحة التربة السوداء (٢٥٪ من حجم العالم)، وتحتل المركز الأول في العالم في صادرات زيت عباد الشمس، والمركز الثاني عالمياً في إنتاج الشعير والمركز الرابع في صادراته. وهي ثالث أكبر منتج ورابع أكبر مصدر للذرة في العالم، ورابع أكبر منتج للبطاطا في العالم، وخامس أكبر منتج للجاودار في العالم، وهي في المركز الخامس عالمياً في إنتاج عسل النحل (٧٥,٠٠٠ طن). وفي المركز الثامن في العالم في صادرات القمح. وفي المركز التاسع في العالم في إنتاج بيض الدجاج. وفي المركز السادس عشر على مستوى العالم في صادرات الجبن (القضاة ٢٠٢٤، ٤٧)، وهي الأولى في أوروبا في إنتاج الأمونيا وفيها ثالث أكبر شركة في أوروبا، وهي في المرتبة الثامنة في العالم في القدرة المركبة لمحطات الطاقة النووية، وفي المركز الثالث في أوروبا والمركز الحادي عشر في العالم في طول شبكة السكك الحديدية (٢١,٧٠٠ كم)، وفي المركز الثالث في العالم (بعد الولايات المتحدة وفرنسا) في إنتاج أجهزة تحديد المواقع ومعدات تحديد المواقع، وثالث أكبر مصدر للحديد في العالم، و رابع اكبر مصدر للتوربينات لمحطات الطاقة النووية في العالم ورابع اكبر مصنع لقاذفات الصواريخ في العالم.

وهي في المركز الرابع في العالم في صادرات الطين، وفي المركز الرابع في العالم في صادرات التيتانيوم، وفي المركز الثامن في العالم في صادرات الخامات والمركزات، وفي المركز التاسع في العالم في صادرات منتجات الصناعات الدفاعية، وهي عاشر اكبر منتج للصلب في العالم بطاقة انتاجية تصل الى(٣٢,٤ مليون طن) ولدى اوكرانيا احتياطات هائلة من الغاز لطبيعي. (الضبيان ٢٠٢٢) .

وبذلك يعتبر الاقتصاد الاوكراني وفقا لما تقدم اعلام من الاقتصاديات الناشئة والسوق الاوكراني يوصف بانه سوق حر ناشيء اي مماثل لاقتصاديات المتقدمة، وهي من الدول المنتجة للطاقة والتكنولوجيا الحديثة وهذا الامر زاد من اهميتها اقتصادياً.

المطلب الثالث: اهمية اوكرانيا الجيو استراتيجية بالنسبة لروسيا

اشار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في خطاباته إن تفكك الاتحاد السوفييتي كان اعظم كارثة جيوسياسية في تاريخ روسيا، مدركاً ان افتقادها إلى عنصر العمق الإستراتيجي الذي سمح لها بالصمود

في وجه الغزوات الأجنبية منذ القرن الثامن عشر لم يعد موجوداً وصارت منكشفه جغرافيا امام الدول المعادية لها والتي تعمل على تحجيمها وبنفس الوقت لم يكن بوسع الروس تحمل انضمام دولة مجاورة وبحجم اوكرانيا إلى صفوف حلف شمال الاطلسي (النهار ٢٠٢٢) ، فقد غضت روسيا النظر عن انضمام وتبعية اغلب الدول المنحلة من العقد السوفيتي الى الانظمة الغربية باستثناء، بيلاروسيا واوكرانيا، فـ اوكرانيا ذات مكانة مهمة، إذ تعتبر عمقاً إستراتيجياً لمنطقة الحدود الروسية، وتشكل حاجزاً يمنع التأثير الغربي واذا أرادت تعزيز مجال نفوذها السابق، واستعادة مكانتها كقوة عظمى، فعليها منع أوكرانيا من الانضمام إلى حلف الناتو وتقوية علاقاتها بدول والاتحاد الأوروبي، وذلك كما اشرنا اعلاة يعود لأهمية موقعها الجغرافي ودورها الاقتصادي المؤثر على الاقتصاد الروسي والعالمي (محمود ٢٠٢٢) .

اما بالنسبة لاهميتها لدى روسيا فـ جغرافياً، تتمتع جمهورية اوكرانيا بموقع فريد بالنسبة إلى روسيا لو نظرنا إلى خريطة اوروبا لوجدنا أن لاوكرانيا موقعا استراتيجيا مهما في اوربا الشرقية، اذ إنها تقع على تقاطع الطرق بين دول أوروبية وآسيوية.

وتاتي اهمية موقع اوكرانيا الجيو استراتيجي الفريد بالنسبة لروسيا الاتحادية من انها تقع جغرافيا على البحر الأسود، وان الوصول إلى البحر الأسود يعني الوصول إلى البحر المتوسط، وهو امر بالغ الأهمية للتجارة الروسية ولمرور الطاقة إلى جميع أنحاء مناطق البحر الابيض وبالتالي لا يمكن ان تتخلى روسيا عن مدينة سيفاستوبول القاعدة الأساسية لأسطول البحر الأسود او عن شبه جزيرة القرم ذات الموقع المميز، الذي يسمح بحضور قوة روسية مؤثرة في منطقة البحر الأسود وفي البحر المتوسط (انظر الخريطة رقم ١). وهو ما يعطي روسيا مزيدا من حرية الحركة الإستراتيجية البحرية، والقدرة على الانتشار الإستراتيجي، ونقل القوات الروسية إلى مناطق النفوذ الروسية في الشرق الأوسط، وهذا يعني امتلاك روسيا مزايا وسمات القوة الدولية المعتبرة. (خشيب جلال ٢٠٢٣، ٣٠) .

خريطة (١) خريطة الموقع الجغرافي لأوكرانيا

المصدر: جريدة «الشرق الأوسط»، https://bit.ly/385DylM

ومن خلال النظر الى الخارطة نجد ان روسيا مدركة لسبب تركيز الغرب على ضم اوكرانيا ووضعها تحت مظلة النفوذ الغربي بهدف إطباق نفوذه على شمال البحر الأسود كله، وعلى شبه جزيرة القرم ذات الأهمية الجيواستراتيجية والتاريخية لروسيا، خاصة مع وجود الحليف التركي للغرب في الساحل الجنوبي لهذا البحر، ورومانيا وبلغاريا في الساحل الغربي، وجورجيا في جزء من الساحل الشرقي، فأن الوجود الروسي على هذا البحر الدافئ سوف ينحسر في جزء من الساحل الشرقي فقط، وإذا كانت فائدة البحار إستراتيجياً بالنسبة إلى الدولة الكبرى تكمن في الحركة الآمنة لأساطيلها العسكرية وسهولة وصولها إلى مقاصدها، فإن البحر الأسود سيصبح شبه فاقد لتلك الفائدة، وسيحد ذلك من الحركة البحرية لروسيا تجاه المتوسط، إذ تحضر في سوريا وتهيئ لنفسها حضورا في ليبيا وبعض دول شمال إفريقي (نائلة ٢٠٢٣، ٤٩١).

المطلب الرابع: جذور الازمة الروسية – الاوكرانية

اصل جذور الأزمة الروسية الأوكرانية تعود إلى الفترة التي أعقبت تفكك الاتحاد السوفيتي ومحاولة كييف الاستقلال عن موسكو بقيادة زعيم الجمهورية السوفيتية الاشتراكية الأوكرانية ليونيد كرافتشوك، الذي انتخب رئيسا للبلاد عقب انتخابات رئاسية صوت فيها الأوكرانيون بالموافقة على الاستقلال يوم ٢٤ آب ١٩٩١، غير ان كرافتشوك خسر الانتخابات الرئاسية بعد ٣ سنوات أمام الزعيم الشيوعي السابق ليونيد كوتشما، الذي حكم البلاد حتى نهاية عام ٢٠٠٤، جرت انتخابات الرئاسة مجددا في تشرين الثاني ٢٠٠٤، وأعلن فيها فوز المرشح المؤيد لروسيا فيكتور يانوكوفيتش برئاسة أوكرانيا، لكن مزاعم التلاعب في الأصوات أشعلت احتجاجات عرفت باسم "الثورة البرتقالية"، فأُعيد التصويت، وأجريت جولة الإعادة في شباط ٢٠٠٥، وأُعلن فوز المرشح المقرب من الغرب فيكتور يوتشينكو، الذي وعد بإخراج كييف من دائرة الكرملين نحو حلف شمال الأطلسي "ناتو (NATO) "والاتحاد الأوروبي (اسماعيل ٢٠١٥، ٥٤).

وفي ١٦ حزيران ٢٠٠٨ أعرب رؤساء دول وحكومات حلف شمال الاطلسي عن ترحيبهم بتطلعات اوكرانيا نحو التقارب من الدول الأوروبية والأطلسية ورغبتها للانضمام إلى حلف شمال الاطلسي، وعملت الحكومة الاوكرانية وفي كانون الأول ٢٠٠٨ استطلاعا شعبيا للرأي بخصوص انضمام اوكرانيا كـ عضو في حلف شمال الاطلسي، صوت فيه ٤٤,٧% من السكان الأوكرانيين بتأييدهم الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، في حين عارضه ٣٥,٢% ممن شملهم الاستطلاع، وبقيت نتائج الاستطلاع مهملة لم يتخذ أي اجراء على اساسها.

وبعد الانتخابات الرئاسية التي جرت يوم ٢٥ شباط ٢٠١٠، وفاز بها فيكتور يانوكوفيتش المقرب من روسيا، وفي عهده أبرمت روسيا وأوكرانيا صفقة تسعير الغاز مقابل تمديد عقد إيجار البحرية الروسية في ميناء أوكراني على البحر الأسود، وفي ١٣ تشرين الثاني من العام ذاته أعلن يانوكوفيتش وقف محادثات التجارة والتعاون مع الاتحاد الأوروبي، واختار إحياء العلاقات الاقتصادية مع موسكو، مما أدى إلى اندلاع احتجاجات حركة "يورومايدن" الرافضة لهذا القرار، والتي انطلقت شرارتها في العاصمة الأوكرانية كييف (بهاز ٢٠٠١١، ١٣٠-١٣٤).

تواصلت الاحتجاجات في جميع انحاء اوكرانيا، وبالتوازي مع ذلك صوت البرلمان الأوكراني على عزل الرئيس يانوكوفيتش، في وقت أصدرت فيه الحكومة المؤقتة مذكرة توقيف بحق الرئيس المخلوع، لكن يانوكوفيتش هرب إلى روسيا في شباط ٢٠١٤، واصفاً اقالته بـ الانقلاب (بهاز ٢٠٠١١، ١٦٨) .

واشار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين فكرة ارتباط اوكرانيا تاريخياً بالاتحاد السوفيتي، في خطاب ألقاه عام ٢٠١٤م أمام مجلس الدوما، الذي قال فيه: ((في قلوب الناس وعقولهم لطالما كانت القرم جزءا لا يتجزأ من روسيا. هذه القناعة الراسخة مبنية على الحقيقة والعدالة، وجرى نقلها من جيل إلى جيل بمرور الوقت، وتحت أي ظرف من الظروف، على الرغم من كل التغييرات الدراماتيكية التي مرت بها بلادنا خلال القرن العشرين بأكمله، لم تكن مهمتنا إجراء عملية عسكرية كاملة هناك بل كانت ضمان سلامة الناس وأمنهم وخلق بيئة مريحة للتعبير عن إرادتهم .)) وقد ألقى الرئيس بوتين ووسائل الإعلام الحكومية باللوم مرارا وتكرارا على سوء معاملة المنحدرين من أصل روسي، وإلى ضرورة العودة المشروعة لشبه جزيرة القرم إلى الوطن وجاء الفعل الروسي بالاستيلاء على شبه جزيرة القرم الأوكرانية في آذار ٢٠١٤، حيث تمت السيطرة على المباني الحكومية والبرلمان الإقليمي، الذي أجرى استفتاء على وضع شبه جزيرة القرم بعد أسبوعين فقط من بدء الاحتلال العسكري الروسي، وصوت فيه أكثر من ٩٥% لصالح الانضمام إلى الاتحاد الروسي، وتلا ذلك توقيع موسكو معاهدة مع زعماء القرم لضم شبه الجزيرة رسميا الى روسيا الاتحادية (الموسوعة روسيا ٢٠٢٣).

وفي نيسان ٢٠١٤ سيطر انفصاليون موالون لروسيا على منطقة دونباس شرقي أوكرانيا، ووسط هذه الأجواء المتوترة بين الدولتين أجريت في أيار ٢٠١٤ ، انتخابات رئاسية فاز فيها رجل الأعمال الأوكراني بترو بوروشينكو المقرب من الغرب، والذي قال إنه سيسعى إلى توثيق العلاقات مع الاتحاد الأوروبي واستعادة السلام في المناطق الشرقية المضطربة من أوكرانيا، وفي ١٧ تموز ٢٠١٤ أسقطت طائرة ركاب في الرحلة رقم "إم إتش ١٧" (١٧MH)، وهي في طريقها من أمستردام إلى كوالالمبور، مما أدى إلى مقتل الركاب جميعهم، وعددهم ٢٩٨ شخصاً، وقال المحققون إن السلاح المستخدم في إسقاطها سلاح روسي، وهو ما نفته موسكو وقالت إنه لا علاقة لها بالحادث، على الرغم من إجماع المحققين

على أن الصاروخ انطلق من منطقة خاضعة للمتمردين الموالين لموسكو في شرقي أوكرانيا (سليمان ٢٠٢٢) .

ومع تصاعد التوتر بين الجارتين، بدأ الغرب بالتحرك لمساندة أوكرانيا، فاعلن رئيس الوزراء الكندي ستيفن هاربر في تشرين الأول ٢٠١٤ عن عقوبات ضد الشركات الروسية والأوكرانية والأفراد المتورطين في ضم شبه جزيرة القرم والحركة الانفصالية المسلحة في دونباس، ثم وقعت اتفاقية التجارة الحرة بين كندا وأوكرانيا في تموز ٢٠١٦ ودخلت حيز التنفيذ في آب ٢٠١٧، ووقعت اتفاقية شراكة بين أوكرانيا والاتحاد الأوروبي في أيلول ٢٠١٧، وفتحت أسواق للتجارة الحرة وتبادل السلع والخدمات والسفر، مع إعفاء الأوكرانيين من تأشيرة الدخول إلى دول الاتحاد، ووصل التباعد الأوكراني الروسي الى الجانب الديني أيضا، ففي كانون الثاني ٢٠١٩ أقامت الكنيسة الأوكرانية الجديدة المستقلة عن الوصاية الدينية الروسية، التي وقع الاعتراف بإنشائها رسميا، احتفالها الديني الأول في كييف بحضور الرئيس الأوكراني بترو بوروشنكو، مما أثار حفيظة موسكو.

وفي تموز ٢٠١٩ فاز الممثل الأوكراني فولوديمير زيلينسكي برئاسة البلاد بتصويت ساحق لصالحه، وبعد ٦ أشهر من توليه منصبه ،ناشد الرئيس الأميركي دونالد ترامب مطالبا بالدعم الامريكي لانضمام كييف إلى حلف شمال الأطلسي (نائلة ٢٠٢٣، ٤٩٤). وبعد مناشدة زيلينسكي بدأت تحركات ضد المعارضة المدعومة من روسيا في شباط ٢٠٢١ إذ فرضت حكومته عقوبات على فيكتور ميدفيدشوك، زعيم المعارضة وأبرز حلفاء الكرملين في أوكرانيا، فتحركت موسكو ميدانيا في آذار ٢٠٢١، وحشدت بالقرب من حدود أوكرانيا ثم سحبت حشودها وقالت إن ما قامت به كان مجرد تدريب، وفي تشرين الأول ٢٠٢١ استخدمت كييف طائرة تركية من دون طيار من طراز "بيرقدار بي ٢" لأول مرة في شرق أوكرانيا، الأمر الذي أثار غضب روسيا. (سليمان ٢٠٢٢)

في تشرين الثاني ٢٠٢١ أظهرت صور التقطتها الأقمار الصناعية حشدا للقوات الروسية على الحدود مع أوكرانيا، مما أثار المخاوف من غزو محتمل، وأعلن زيلينسكي أن روسيا حشدت ١٠٠ ألف جندي في المنطقة الحدودية مع بلاده وحركت أعدادا هامة من الدبابات والمعدات الثقيلة، هذه التحركات الجدية من الجانب الروسي على الحدود الأوكرانية عجلت بلقاء الرئيس الأميركي جو بايدن ونظيره الروسي فلاديمير بوتين عبر مكالمة فيديو جمعتهما في كانون الأول ٢٠٢١، ودعا من خلالها بوتين حلف شمال الاطلسي إلى إنهاء التوسع باتجاه الشرق، في حين هدد بايدن بفرض عقوبات اقتصادية قاسية إذا غزت روسيا أوكرانيا، وفي مكالمة مع زيلينسكي في كانون الثاني ٢٠٢٢، وعد بايدن بأن الولايات المتحدة وحلفاءها سيعملون بشكل حاسم إذا غامرت روسيا بغزو اوكرانيا. وفي المقابل حركت موسكو يوم ١٧ كانون الثاني ٢٠٢٢ قواتها نحو شمال أوكرانيا تحت ذريعة القيام بمناورات مشتركة مع بيلاروسيا. (خشيب ٢٠٢٣، ٣٥)

يدرك الروس انه مع توسع حلف شمال الاطلسي شرقا تجاه المصالح الروسية تصبح قدرة روسيا على الدفاع عن اراضيها من التوغلات البرية والجوية والبحرية أكثر صعوبة، وبدأ الروس يعيدون قراءة ما

كتبه هالفورد ماكيندر، حينما قال: (من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم، ومن يسيطر على قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم، ومن يسيطر على جزيرة العالم يحكم العالم)، الروس يدركون ان اوكرانيا هي قلب أوروبا الشرقية، وأن نفوذ حلف شمال الاطلسي إليها ووضعها تحت مسؤولياته الأمنية والدفاعية بمثابة طعنة في خاصرة روسيا، وحرمانها من أن تكون قوة عالمية (نائلة ٢٠٢٣، ٥٥٣).

الخاتمة

مع احتدام الأزمة الأوكرانية يشهد النظام الدولي حربا باردة مشابهة لسابقتها في التاريخ المعاصر، وان القاء نظرة في التغيرات الناشئة من الحرب الباردة السابقة ومقارنتها بالجو الحالي الناتج من التحولات في اوكرانيا يخلق في الذهن تصورا ببدء الحرب الباردة الثانية. إن ائتلاف روسيا مع الصين ودول امريكا اللاتينية، وسفر الرئيس بوتين إلى دول آسيا الوسطى وخصوصا زيارته لإيران ولقاؤه الثلاثي مع (رئيسي) واردوغان يعلن عن تشكلا لنظام جيوسياسي محتمل جديد، إن تكرار هذه التحالفات يعكس السعي الروسي مرة أخرى لمحْق سياسات أمريكا السلطوية واستئناف سياسات خروتشوف التي تبناها في الحرب الباردة، هذه الطروحات الاحتماليه إذا تحققت فمن المتوقع حصول تغيير ثابت نسبيا في النظم الدولية حتى إنه يحتمل أن تصحبه حرب بمنهج ونمط جديد. من الناحية الجيوسياسية تعد اوكرانيا حدا فاصلا بين قطب الشرق وقطب الغرب، وسلطة الغرب العسكرية المتمثله بـ حلف شمال الاطلسي تنتهي مع حدود اوكرانيا الغربية، كما ان القوة الروسيه تبدأ من الحدود الاوكرانية الشرقية، من الناحية الاستراتجية لعبت اوكرانيا دور مصد دفاعي وثكنة عسكرية استخدمتها روسيا ضد قوى الدول الغربية، واذا ما انضمت اوكرانيا إلى حلف شمال الاطلسي فإن هذا المصد العازل بين روسيا واوربا سينهار وسيكون هذا الانهيار – بعد انهيار جدار برلين – هو ثاني سقوط جداري مُعلن عن تهالك وتهاوي القوة الروسية.

لا شك أن أوكرانيا لأسباب أخرى تشمل الأسباب الاقتصادية والثقافية تعد عمقا استراتيجيا لروسيا، حيث يرى معظم المنظرين ان روسيا مع اوكرانيا تحسب قوة دولية إلا انها دون اوكرانيا لا تتعدى كونها قوة إقليمية، وهذا عكس الرغبة الروسية بالعودة كـ قوة دولية، على كل حال يمكننا القول بأن أوكرانيا صارت رأس حربة التقابل والمواجهة بين روسيا وحلف شمال الاطلسي، ولأجل هذا تتبنى موسكو سياسات حازمة وقاطعة في ملف حرب اوكرانيا، وهذا بالحقيقه يعبر عن عزم روسيا بعد ثلاثة عقود في ان تستعيد مجد فترة الثمانينات، كما ان الولايات المتحدة الأمريكية تسعى الى الحفاظ على النظام الدولي الحالي المتسم بالثبات على القطبية الاحادية.

في النهاية يمكن القول بأن حرب أوكرانيا يمثل نهاية نظام القطب الواحد الدولي وبداية صعود انظمة محلية واقليمية تتمحور للنهوض بـ عالم متعدد الأقطاب، وفي هذا التحول الكبير ستمر المنطقة باضطرابات

جديدة، تذكرنا بالحرب على افغانستان التي شهدت الحضور السوفييتي والأمريكي على الاختلاف في مدة الحضور ووقعت في موقع مشابه تقريبا امام القوتين المذكورتين، كما أن المكانة الجيوسياسية التي تتمع بها أفغانستان تشكل ثكنة عسكرية مُحكمة ونطاقا للمنافسات الدولية بعد أوكرانيا، وهنا روسيا لاترغب بعودة سيناريو خسارتها لافغانستان بعد سيطرة حلف شمال الاطلسي عليها الامر الذي جعلها تتسابق للدخول لاوكرانيا وتحجيم تطلعات الولايات المتحدة الامريكية في تقويض القوة الروسية .

المصادر باللغة العربية :

١. اسماعيل، محمد صادق .٢٠١٥. التجربة الروسية: بوتين وإستراتيجية الأمن القومي بوتين واستراتيجية الامن القومي. العربي للنشر والتوزيع . القاهرة
٢. بشارة، عزمي. ٢٠٢٢. روسيا واوكرانيا وحلف الناتو: تاملات في الاصرار العجيب على عدم تجنب المسار المؤدي الى الحرب . المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات . قطر .
٣. بهاز، حسين.٢٠١١. التجربة الانتخابية والتحول اليمقراطي في أوروبا الشرقية: دراسة حالة يوغوسلافيا سابقا وأ وكرانيا. مجلة دفاتر السياسة والقانون عدد خاص . نيسان٢٠١١.
٤. بولعراس، تفتحي . ٢٠٢٢. تداعيات الازمة الاوكرانية على مستقبل اوربا. مجلة السياسة الدولية عدد ٢٢٨ . مجلد ٥٧. القاهرة .
٥. حداد، أسماء. ٢٠٢٠. النموذج الروسي للحرب الهجينة في اوكرانيا الخيارات والرهانات.مركز الكتاب الاكاديمي الأردن.
٦. خشيب، جلال . ٢٠٢٣ . ندوة علمية بعنوان : الحرب الروسية في أوكرانيا ٢٠٢٢ : قراءة جيوبوليتيكية. مركز دراسات الإسلام والشؤون العالدية ،إسطنبول (CIGA). ٢ مارس.
٧. سليمان ، منى . ٢٠٢٢. التداعيات والدسارات المحتملة للعملية العسكرية الروسية في أوكرانيا . ٢٦ مارس. http://www.siyassa.org.eg/News/١٨٢٤٠
٨. الشيخ ، نورهان. ٢٠٠٧. العلاقات الروسية – الاورو اطلنطية بين المصالح الوطنية والشراكة الاستراتيجية. مجلة السياسة الدولية. عدد ١٧٠. القاهرة .
٩. الضبيان، محمد. ٢٠٢٢\٣\٧.الاهمية الجيو استراتيجية لاوكرانيا. النهار العربي. https://www.annaharar.com/arabic/makalat/opinions/0703
١٠. عبد الشافي ،عصا.٢٠٢٢. "الحرب الروسية الأوكرانية ومستقبل النظام الدولي" . مركز الجزيرة للدراسات. مجلة لباب. العدد١٤.
١١. فيصل، حسين غازي .حزيران ١٩٩٩ .المنظور الجيواستراتيجي الاوربي تجاة الخليج العربي. مجلة المستقبل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت . العدد ١٤٤.
١٢. القضاة، هديل محمد. ٢٠٢٤. الحرب الروسية الاوكرانية ومستقبل النظام الدولي. دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع. الاردن ٢ فراير.
١٣. محمود، دلال . فبراير٢٠٢٢. الأزمة الأوكرانية: الأهداف الحقيقية لروسيا والولايات المتحدة. المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية . https://bit.ly/3wnQpdb
١٤. الموسوعة روسيا . ٢٠٢٣. الحرب الروسية الأوكرانية، مواجهة خمد فتيلها عقدين وأشعلها مجددا التقارب الأوكراني الغربي. ٢٠ شباط. https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2023/2/20

١٥. نائلة، العابد.٢٠٢٣. تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على العلاقات الدولية. مجلة المعيار. مجلد ٢٧. عدد ١(رت٧٠).
١٦. النهار العربي. ١ مارس ٢٠٢٢م. «المجال الحيوي» وأحلام روسيا البوتينية باستعادة مجد لن يعود.. https://bit.ly/3iPe6TB

المصادر باللغة الإنكليزية:

1. Ismail, Muhammad Sadiq. 2015. The Russian experience: national strategic sectors and popular strategy. Al Arabi Publishing and Distribution. Cairo
2. Bishara, Azmi. 2022. Brazil, Ukraine, and NATO: Reflections on the Strange Determination Not to Avoid the Path That Leads to War. Arab Center for Research and Study. Qatar .
3. Baz, Hussein.2011. Historical experience and emancipatory transformation in Eastern Europe: the experience of former Yugoslavia and Ukraine. Journal of Guidance Notebooks, Special Issue. April 2011.
4. Belaras, Fathi. 2022. Animation: The Ukrainian crisis affects the future of Europe. Journal of International Politics No. 228. Volume 57. Cairo.
5. Haddad, Asmaa. 2020. The Russian model of hybrid warfare in Ukraine. Options and stakes. Jordan Academic Book Center.
6. Khashib, Jalal. 2023. Scientific symposium entitled: The Russian War in Ukraine 2022: Popular university reading. Center for Studies of Islam and Islamic Affairs, Istanbul (CIGA). March 2.
7. Suleiman, Mona. 2022. Possible initiatives and plans for the Russian military operation in Ukraine. March 26. http://www.siyassa.org.eg/News/18240
8. Al-Sheikh, Nourhan. 2007. Russian-Euro-Atlantic relations between national interests and strategic partnership. Political Science Journal. No. 170. Cairo.
9. Al-Dhabyan, Muhammad. 3/7/2022. The geostrategic importance of Ukraine. Arab day. https://www.annaharar.com/arabic/makalat/opinions/0703
10. Abdel Shafi, Stick. 2022. “The Russian-Ukrainian war and the future of the international order.” Al Jazeera Center for Studies. Lubab magazine. Issue 14.
11. Faisal, Hussein Ghazi. June 1999. The European strategic perspective towards the Arabian Gulf. Arab Future Magazine. Center for Arab Unity Studies. Beirut . Issue 144.
12. Al-Qudah, Hadeel Muhammad. 2024. The Russian-Ukrainian War and the Future of the International Order. Jordanian Ward House for Publishing and Distribution. Jordan 2 February.

13. Mahmoud, Dalal. February 2022. Ukrainian Virus: Russia's Deficit of United Russia. Egyptian Center for Thought and Strategic Studies. https://bit.ly/3wnQpdb
14. Brazilian Encyclopedia. 2023. The Russian-Ukrainian war, which has been extinguished for two decades and ignited forever by Western Ukraine. February 20. https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2023/2/20
15. Naila, Al-Abed. 2023. Animation: The Russian-Ukrainian war on international relations. Express Magazine. Volume 27. Issue 1 (Rt. 70).
16. Al-Nahar Al-Arabi. March 1, 2022 AD. “Newroz field” and Brazilian Putinian dreams of restoring it will not return.. https://bit.ly/3iPe6TB.